روما

هبطت بنا الطائرة فى مطار روما بعد رحلة لم أشعر فيها بتعب فوجدت فى انتظارى مندوب السفارة المصرية ومندوبى بعض الصحف المحلية ووكالات الانباء الدولية ٠

كان استقبالا طيبا أجمل ما فيه تحية السفارة فى مندوبها الذى أرسلته وفى سيارتها التى وضعتها رهن اشارتى ٠

وشغل ذهنى وأنا أنظر الى المطار ان وجدته قد استكمل كل ناقص وبدا شامخا لكل زائر اذ فرغ العمال من بنائه ، أننى أذكر فى السنوات الخمس الماضية أننى كلما كنت أمر بمطار روما يزعجنى عجز ايطاليا عن اصلاحه واتمام بنائه فلما رأيته قد استكمل مقومات وجوده استنتجت من ذلك أن تلك البلاد بدأت تتغلب على المتاعب الاقتصادية التى واجهتها بعد الحرب العالمية الثانية ٠

وحين فرغت من هذه الملاحظة ووجهت بصحفيى روما فقد أصروا على أن يوجهوا الى كثيرا من الاسئلة فأخذت تنهال على من كل صوب ٠

ما رأيك فى اتفاقية الجلاء المصرية البريطانية ؟ » وكانت هذه الاتفاقية قد أبرمت قبل وصولى الى روما بيوم » ·

ـ ماهو مدى معارضة الدين الاسلامى لحقوق المرأة ؟

ـ ما رأيك فى فاروق المقيم الآن فى ايطاليا ؟

وهكذا سألنى الصحفيون رأيى فى أكثر من موضوع بعضه عن مصر وبعضه عما يشغل بال العالم اذ ذاك ·

وأخيرا اقترب منى أحد الصحفيين وقال لى بصوت خفيض :

ـ ما رأيك فى الشيوعية ؟

انهالت على كل هذه الاسئلة فى لحظات قصار وأنا أستمع الى سؤال يلاحق سؤالا وكنت تقريبا لم أستيقظ حيث وصلت الطائرة فى الصباح المبكر ولاحظت على وجه مندوب السفارة شيئا من القلق فقد كان الموقف دقيقا · ولقد خشى أن تجىء احدى اجاباتى محرجة أو أن أكون غير مستعدة للرد على هذه الاسئلة المفاجئة فاقترح فى لباقة أن نرجىء الرد على هذه الاسئلة الى المساء · حيث تقيم السفارة مؤتمرا صحفيا لى ·

ولكنى فضلت عدم ارجاء الرد على أى سؤال حتى لا يتصور مندوبو الصحف أنى غير قادرة على الرد عليهم فيؤثر ذلك على كل مؤتمراتى الصحفية المقبلة وكنت أرد على السؤال بسؤال آخر أكثر احراجا للسائل فتكون النتيجة أنه هو الذى يتهرب من الاجابة ، وبالرغم من كل المناقشات التى دارت بينى وبين الصحفيين فاننى خرجت من هذا المؤتمر الصحفى المفاجىء منتصرة بعون الله الا أننى حينما تهيأت للانصراف ودعنى بعض الصحفيين قائلا : « الى اللقاء فى المؤتمر الصحفى فى المساء ؟ ! » وكان معنى هذا أن الصحفيين « لن يعتقونى بعد ···· »

لقد كانت المناقشة التى دارت بينى وبين الصحفيين فى المطار بداية طيبة من رحلتي وتركت فى نفسى أحسن الاثر ، اذ تبين لى

أننى قد أمكننى التخلص من أول موقف حرج فى رحلتى حول العالم وشعرت بالتفاؤل يغمرنى وأحسست التوفيق ينتظرنى ٠

ومضت بنا السيارة من مطار روما الى قلب المدينة وأمكننى أن أشاهد فى عدوء ضواحى المدينة الرائعة الجمال ٠

لقد سبق لى أن زرت مرارا هذا البلد الجميل من قبل غير أننى لم أشاهده فى هذه الروعة على النحو الذى شاهدته فى هذه المرة اذ كانت أوراق الاشجار تميل الى الاحمرار وهى تشبه الشمس حين تميل الى الغروب ٠ وكان هذا ايذانا بأنها تودع فصل النماء حيث تنطوى على نفسها طول فصل الشتاء ٠

وودعنى مندوب السفارة فى الفندق بعد أن حدد لى موعد المؤتمرفى السفارة ، وصعدت الى غرفتى وطلبت فنجانا من القهوة « وأحب أن أقول أن حبى للقهوة كلفنى كثيرا فى هذه الرحلة ففنجان القهوة كان يكلفنى مثلا فى الولايات المتحدة أكثر من ثلاثين قرشا غير البقشيش » ثم ألقيت من النافذة نظرة على روما وهى تستيقظ ، وكان الميدان الذى تطل عليه النافذة هادئا لا تمر فيه الا بعض العربات الصغيرة التى تحمل الخضروات ٠

ومر بخاطرى كل المفاخر والامجاد وكل المآسى والاحزان التى مرت بروما فى السنوات الاخيرة ٠

أخذت أفكر فى موسولينى وكيف حكم ايطاليا ، وكيف جرته الاحداث الى احتلال الحبشة فى سنة ٣٥ ـ ١٩٣٦ حتى يعطى شعبه فرصة الهجرة ويزيد بذلك دخل بلاده مما جعل ايطاليا تنظر بعد ذلك الى زيادة مستعمراتها وراء البحار ٠

ثم تذكرت أن ايطاليا لم تدخل الحرب العالمية الثانية الا فى سنة ١٩٤٠ قبل أن تطلب فرنسا الهدنة ببضعة أيام حين اطمأنت الى أن ألمانيا قد سيطرت على الموقف فى فرنسا وتطلعت ايطاليا الى المائدة لتحضرها دون أن تقدم فيها نصيبا انما لتنال المغنم فى يسر وهوادة٠

ثم تذكرت كيف هوى موسولينى من على الحكم فى يوليو ١٩٤٣

وتولى بادوليو الحكم وكادت تنشب حرب أهلية تفسد بهاء ايطاليا وجمالها وتزرى بمناحفها الرائعة وطوف بذهنى موسوليني وقد أعدم فراح ضحية الغرور والمجد الزائف ٠

ولست أعتقد أن الشعب الايطالى شعب حروب أنه شعب مرح يعشق الموسيقى ويحب الفن وهو يعيش دائما فى أضواء الفنون الجميلة التى ابتدعها جيلا بعد جيل منذ زمن بعيد فكان من أقدم الشعوب اهتماما بالفنون الجميلة فكان يصور وينحت ويقدم للعالم روائع الصور والتحف والتماثيل ٠ ونذكر هنا كنيسة الفاتيكان وهى أروع ما يمكن تسجيله فى ميدان الفن ومما يذكر أن تحرر الشعب الايطالى لا يتعارض مع تمسكه بالتقاليد القديمة التى ورثها الفاتيكان منذ أجيال عديدة ٠

وقد راعنى فى الشعب الايطالى الحديث أنه يعمل بلا توان على النهوض بكل ما فيه زيادة دخل البلاد من زراعة وصناعة ومشروعات عامة متعددة ٠

وقد أيقظنى من هذا الفكر الشارد صوت المياه التى تنبعث من أفواه التماثيل وهى رابضة فى نافورة تعبر أجمل تعبير عن حضارة الرومان وما جاءوا به من اعجاز فى الفن وابداع فى النحت ٠

وعلى أى حال فان ايطاليا قد خرجت منتصرة من البلاء الذى حاق بها منذ أوائل هذا القرن حتى نهاية الحرب العالمية الثانية واستطاعت أن تداوى جرحها العميق أبان الحرب وبعدها وتستعيد نشاطها المأثور عنها وتتغلب على جميع الصعاب الاقتصادية والاجتماعية التى اجتاحتها فى تلك السنين ٠

❖

وفى المساء حل موعد المؤتمر الصحفى الذى عقد فى السفارة المصرية بروما وقد بدأ هذا المؤتمر فى جو مرح يتلاءم مع طبيعة الشعب الايطالى المرح وقد استهل بسؤال هادىء فى مظهره ٠

ـ ما رأيك فى دخول المرأة الميادين العامة ؟

ـ وكنت أعلم أن المرأة فى ايطاليا لم تنل حقوقها السياسية الا سنة ١٩٤٥ مثل كثير من بلاد أوروبا التى كانت محرومة من معظم هذه الحقوق قبل نهاية الحرب العالمية الثانية ، ومما يذكر أن أوروبا بدأت تعترف بحقوق المرأة بعد الحرب العالمية الاولى ثم وقفت دون منحها كل الحقوق حتى قامت الحرب العالمية الثانية وساهمت المرأة فيها مساهمة الاصيل فاضطر الرجال الى الاعتراف بسائر حقوقها فنالت فى كثير من البلاد الاوروبية ما كان ينقصها من حق قبل الحرب الثانية ٠

وكان ردى على السؤال :

ـ ان دخول المرأة فى الميادين العامة يعتبر فى رأيى أقوى أحداث القرن العشرين بعد حادث اختراع القنبلة الذرية ٠٠٠

وقامت القاعة وقعدت كأننى ألقيت قنبلة ذرية ؟ ! ٠٠

غير أن أحد مراسلى وكالات الانباء عقب على قولى ساخرا بقوله :

ـ ولكن الرجال أمكنهم السيطرة على زمام القنبلة الذرية فهل ياترى سيمكنهم السيطرة على زمام المرأة اذا أفسح لها المجال لمشاركة الرجل فى كل الميادين العامة على قدم المساواة ؟ ٠٠٠

فكان الجواب :

« انى لا أرى أن يسيطر الرجل على المرأة أو تسيطر المرأة على الرجل ، انى أريد أن يتعاون الاثنان فى السيطرة على الحياة ٠ وذلك لمصلحة العالم بأجمعه ٠

وهنا قامت ضجة فى القاعة استنتجت منها أن بلادنا لم تنفرد وحدها بتحالف الرجال ضد النساء ٠

لقد أجهدنى هذا المؤتمر الذى استمر ساعتين كاملتين وكان الناس يريدون أن أمضى فيه عشر ساعات غير أننى اكتفيت بالساعتين وفيهما سجلت كل ما يهم المستمعين عن بلادى وكل ما يمجدها ٠

وقد كان هذا المؤتمر كسابقة فاتحة طيبة للمؤتمرات العديدة التى عقدتها فى مختلف بلاد العالم ·

وعلى نمطه جريت فى كل مؤتمر مقبل وحسبى أن أذكر أن وكالات الانباء والصحف احتفلت بهذا المؤتمر احتفالا منقطع النظير ورددت أسلاك البرق فى كل مكان ما دار فيه من مجادلات وكان هذا المؤتمر اعلانا طيبا فى كل مكان عن رحلتى حول العالم فضلا عن أنه أثبت للاجانب أن المرأة المصرية قد أصبحت جزءا مهما من بلادها وأن أمر الدعاية عن البلاد فى أنحاء العالم تساهم فيه الآن المرأة المصرية بكل ما يعود بالفخر على مصر ·

ان ذلك وحده له فوائده الكثيرة فان العالم الآن قد أصبح يعتقد أن الامم المتحضرة هى الأمم التى يشترك نساؤها فى مهمات الامور ·

زيوريخ وڤينا

يجدر بى ان اذكر كلمة عن النمسا وسويسرا قبل أن امضى بالقارىء عبر الجبال والبحار .

حصلت النساء فى النمسا على حقوقهن السياسة سنة ١٩١٩ – أى بعد الحرب العالمية الاولى ، فهل كان للحرب دخل فى ذلك ؟ هناك رأى يقول أن معظم نساء العالم أخذن حقوقهن السياسية بعد الحربين الكبريين سنوات ١٩١٩ و ١٩٤٦ والواقع أن النساء حصلن على بعض الحقوق بعد كل فرصة اتيحت لهن لاثبات مشاركتهن للرجل فى جميع اعباء الحياة ، وقيامهن بالواجب نحو الوطن والأسرة على أكمل وجه ، فنساء بلاد الشمال مثلا كن أسبق النساء الى الحصول على الحقوق السياسية والاجتماعية لأن أزواجهن رجال صيد وترحال ، فكان الرجل يخرج الى البحر وتبقى المرأة تدير شئون بيتها ومجتمعها ووطنها طيلة المدة التى يمكثها الرجل فى البحر ، التى كانت قد تطول الى ستة أشهر أحيانا أو تزيد ، فما أن طالبت بحقوقها حتى نالتها على الفور اذ لم يجرؤ الرجل على

حرمانها هذا الحق في الوقت الذي تشاركه جميع اعبائه . ونذكر بهذه المناسبة ان فنلندا في شمال أوروبا من أول البلاد في العالم التي اعطت للمرأة حقوقها السياسية سنة ١٩٠٦ .

وكذلك بالرغم من الحركات التي قامت في سائر انحاء البلاد المتقدمة للمناداة بحقوق المرأة بصفة عامة في القرنين التاسع عشر والعشرين كانت تحصل غالبا النساء على حقوقهن بعد الحروب وكانت الحروب دائما فرصة أثبتت فيها المرأة وجودها . وأرغمت الرجل على الاعتراف بهذا الوجود .

وبالتالي أرغمته على اعطائها هذه الحقوق .

ان كفاح المرأة الطويل في سبيل نيل حقوقها يذكرني بأمر يدعو الى العجب ، لقد كان الاسلام دائما شعلة يستنير منها كل من قدر له ان يلعب دورا في الحركات النسائية في العالم وكان مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة في الاسلام من المبادىء التي تغنى بها الشاعر «شيلي» كما تغنى بها الكثيرون غيره من الكتاب والشعراء ، فكيف لا تتمتع المرأة في البلاد الاسلامية حتى اليوم بهذه الحقوق التي منحها اياها دينها السمح الكريم الذي سوى بين المسلمين جميعا قبل ان تقوم أية حركة من حركات أوروبا كلها بمئات السنين ؟!

ثم اعود فاقول ان المرأة اليوم تشارك الرجل في كفاحه في بلاد الشرق ، واذا كان كثير من الرجال لا يزالون ينكرون هذا ، فسوف تنتهي «مغالطتهم» هذه حتما الى الاعتراف بحقوق شريكتهم المرأة .

الدانوب الازرق :

لقد كانت الطبيعة سخية على النمسا ، فحبتها بجمال خلاب ولذلك فقد جبل اهلها على حب الفنون ، وخصوصا الموسيقى .

وما زال العالم حتى اليوم يتغنى بالحان موزارت وشوبرت ويرقص على فالسات شتراوس ، الذين استلهموا وحي الحانهم من جمال الطبيعة الفريدة في هذه البلاد ، ومن نهر الدانوب الازرق

الخالد الذى يشق فيينا ـ عاصمة النمسا ـ فيزيدها جمالا . ويعطى أهلها مادة يستوحون منها موسيقاهم وألحانهم .

والانهار تلعب دائما دورا هاما فى حياة الشعوب ، فهى أقرب الاشياء التى تصدر لهم الحياة ، اذ يولد النهر عند المنبع صافيا عذبا ، ثم يتدفق قويا ليهب الحياة لاهل البلد ، حتى يصل كهلا عند المصب ، وهكذا تعيش أنهار العالم فى الاساطير التى يتناقلها الناس ، وفى الاشعار ، والقصص والالحان ، وهكذا يعيش النيل والتيمز والسين والفولجا والهدسن والمسيسبى ، كلها أنهار وهبت أهلها الحياة فمنحها أهلها الخلود فى فنونهم .

وهكذا يعيش الدانوب الازرق فى ذلك اللحن الخالد لشتراوس ، وهل هو ازرق حقيقة ؟

أعتقد أن زرقة (الدانوب الازرق) هى زرقة أى نهر آخر ولكن تغلب هنا خيال شتراوس الواسع الذى جعل من زرقة هذا النهر النشودة خالدة فى أذهان العالم باجمعه .

والنمسويون لهم ولع شديد بالتصوير والنحت ، فبلادهم عامرة بالتماثيل الجميلة ، ولهم شغف شديد بالازهار ويظهر ذلك فى بيوتهم ونوافذهم وحدائقهم ، كما ينعكس كذلك فى ألوان ملابسهم الوطنية المزركشة ، والصفة الغالبة عليهم هى المرح والرقص ـ رغما عما قاسوه فى سنوات الحرب والاحتلال من الفقر .. والعوز .

ولعل من أهم ما يميز النمسا عن بقية دول اوروبا أنها محاطة ببلاد أخرى كثيرة ، اذ تحف بها حدود المانيا وتشيكوسلوفاكيا والمجر ويوغسلافيا وايطاليا وسويسرا فاهلها دائما على صلات قوية وفى بعض الاحيان على احتكاك بشعوب كثيرة ، فهم ليسوا فى عزلة كبعض الشعوب الاخرى ، لذلك فهم أكثر تفهما لمشاكل الاخرين .

وقد خرجت النمسا جريحة محطمة بعد الحرب العالمية الثانية، وظلت تكافح لتعيد بناء نفسها اقتصاديا رغم الاحتلال الاخير ، واستطاعت بجهود شعبها ان تنال استقلالها أخيرا بموجب المعاهدة

التى عقدتها واصبحت اليوم تقف على الحياد ، وتضرب مثلا جديدا من أمثلة كفاح الشعوب التى تستطيع أن تقوم لتقف على قدميها بفضل عزيمة ابنائها ، وان تدعم اقتصادها بالصناعة رغم الحرب التى خربت مصانعها وحطمت كل حجر فيها ...

وليست فيينا هى البلد الوحيد الجميل الذى تفخر به النمسا، فهناك سالزبورج وغيرها من المدن التى تضارع كثيرا من العواصم جمالا وروعة .

وقد كانت كلها مهدا لكثير من الفنانين والموسيقيين الموهوبين ... العالميين .

سويسرا .. بلد السياحة والصناعات الدقيقة

والبلد الثانى الذى ستظل ذكرى زيارته عالقة بذهنى لجماله هو سويسرا ــ ان جمال الطبيعة هو كل شىء فى سويسرا تقريبا ، اذ أن الانسان يستطيع ان يتمتع بجمال الخضرة والغابات والبحيرات والانهار وقمم الجبال التى يعلوها الثلج الابيض فى وقت واحد وفى مكان واحد هو سويسرا .

وقد كان جمال الطبيعة فى سويسرا مصدرا هائلا للثروة لاهلها ، فقد اشتغل السويسريون بصناعة السياحة ، واقول «صناعة» لان السياحة فعلا أصبحت صناعة حديثة ، بعد أن اصبح كثير البلدان يعتمد عليها كمصدر من مصادر الثروة ويكفى ان تعرف ان ٧٠ ٪ من دخل سويسرا يأتى من السياحة لتفهم لماذا قلت عن السياحة انها صناعة ، واصبحت سويسرا اليوم مرادفا لكلمة السياحة فى اذهان العالم اجمع ، فيأتيها السياح من جميع انحائه لقضاء اجازاتهم وللرياضة(التزحلق على الثلج) خاصة. والاستشفاء.

وسويسرا جمهورية اتحادية تتكون من ٢٢ مقاطعة ، ولكنها كلها تشغل مساحة صغيرة فى قلب أوروبا ، ويسكنها عدد يقل عن الخمسة ملايين نسمة ــ وقد تغلب سكانها على قلة موارد بلدهم الطبيعية ــ اذ انها تفتقر الى الفحم والحديد وهما عصب الصناعات

الحديثة ـ ولذلك فقد برع السويسريون فى الصناعات الدقيقة مثل الساعات واجهزة المعامل الطبية ، والادوات العلمية والكهربائية والمواد الكيماوية والادوية واشغال الصوف اليدوية .

وكان اول ما لفت نظرى من اخلاق السويسريين عندما وصلت لاول مرة الى زيوريخ الهدوء فهم شعب هادىء هدوءا لا مثيل له ، وهم شعب مهذب ، وتلاحظ ذلك فى معاملاتهم ، وفى كل مكان ، فى الاتوبيس الذى يخلو من «الكمسارى» ويدفع ركابه نقودهم فى صندوق صغير معلق باخر العربة وفى الجرائد التى تباع دون أن يصرخ عليها بائع او يقف الى جانبها كالديدبان ليحرسها ، ولم يحدث أن اختطف سويسرى صحيفة دون أن يدفع ثمنها مع عدم وجود من يتسلم الثمن او حاول أحد أن «يزوغ» من دفع ثمن تذكرة الاتوبيس !

وسويسرا مركز لكثير من النشاط السياسى الدولى ، فمدينة جنيف لها شهرة عالمية لانها كانت مقرا لعصبة الامم القديمة ، وما زالت مقرا لكثير من المنظمات والجمعيات الانسانية والدولية كما انها كثيرا ما تختار كمركز للمؤتمرات الدولية والامثلة ليست ببعيدة عنا .

وفى مدينة زيوريخ ـ قابلت الدكتورة «جان ايدر» من ارقى نساء العالم ورئيسة المجلس النسائى الدولى الذى يعد اكبر هيئة نسائية دولية ، وجلسنا نتحدث عن مشاكل المرأة المختلفة المتعددة . قلت لها ان العالم فى دهشة لان المرأة فى سويسرا لا تتمتع بحقوقها السياسية ، فى الوقت الذى ترمقها كثير من الدول الاخرى لتفوقها وتقدمها والمكان الممتاز الذى تتمتع به .

وادركت الدكتورة جان ايدر سبب اهتمامى الشديد بهذا الموضوع ، حيث انه كثيرا ما يضرب لى خصومى مثلا بسويسرا كبلد متقدم لم تنل فيه النساء حقوقهن السياسية .

وابتسمت الدكتورة واجابت قائلة :

ـ لكل بلد ظروفه الخاصة ، فظروفنا تختلف تماما عن ظروف

البلاد الاخرى . سويسرا عبارة عن مجموعة مقاطعات منها الفرنسية ومنها الالمانية ومنها الايطالية . وكل من هذه المقاطعات لها لغتها الخاصة وعاداتها وطريقتها فى الحياة . وحيث أن القرارات التى تتخذها الحكومة تجىء عن طريق اجراء استفتاء ، فمن الصعب أن تجتمع اراء هذه المقاطعات باختلاف ارائها ومعتقداتها وعاداتها على رأى واحد فى مثل هذا الاستفتاء .

ثم ان هناك سببا اخر . وهو ان المراة السويسرية تتمتع فعلا بحقوقها الاجتماعية والشخصية كاملة ، فليس اذا من المهم أن تتمسك بدخول البرلمان ، كما فى بعض البلاد التى تطالب باعادة النظر فى القوانين الخاصة بالمراة ، وهى من أجل ذلك تطالب بدخول البرلمان ليكون لها صوت داخله حين تثار قضيتها .

ووعدت بأنها ستبذل كل ما فى وسعها لتحقيق استخلاص حقوق المرأة كاملة غير منقوصة فى سويسرا وفى أنحاء العالم .

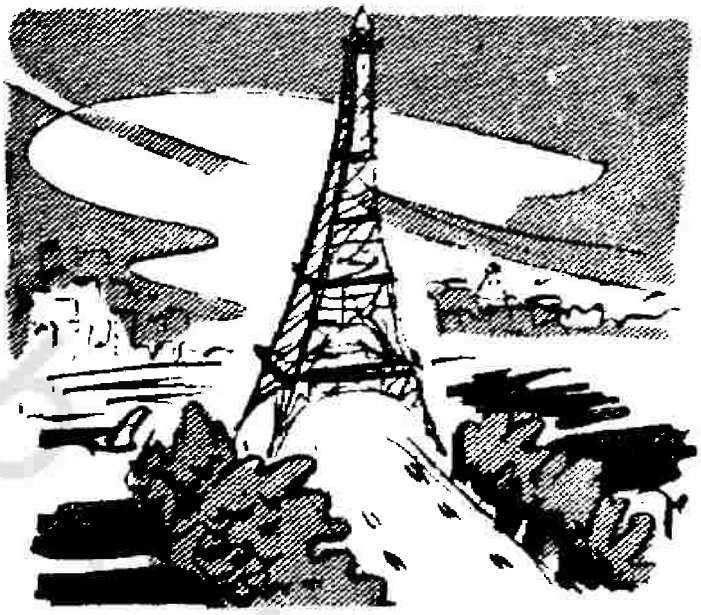

بـــاريس

كان شعورى حينما وصلت الى مطار أورلى أن باريس ستكون هى البداية الحقيقية لرحلتى حول العالم ، ربما كان ذلك لشعورى بأننى اقتربت من قلب أوروبا ، وربما رجع الى شعورى بأننى عشـــت وتكـــــونت فى باريس .

واحسست ان نجاحى فى بقية الدول الاخـرى متوقف على نجاحى فى باريس ، فانا اعرف الفرنسيين وطباعهم وميولهم ، فكان لابد لى أن أنجح هناك أولا ويصبح النجاح بعد يسيرا ، وتوجهت الى فندق «بلاتزا» وهو أحد الفنادق الكبيرة فى باريس ، وكنـت اعرف انه اذا طالت اقامتى بهذا الفندق فسوف انفق كل المبلغ الذى اعددته للرحلة كلها ، ولكن الضرورة لها احكام ــ فقد كان على أن اظهر بالمظهر اللائق حتى تنجح دعايتى لبلادى ولو ادى ذلك الى أن أمكث به بضعة أيام حتى اتم الاستعدادات للمؤتمر الصحفى الذى كنت انوى عقده ، ثم اتركه بعد ذلك .

وبدأت أعد العدة لهذا المؤتمر . وكنت أعرف أن نجاح المؤتمر لا يتوقف على المكان أو عدد الناس ومجموعهم ، وانما يتوقف على مستوى تفكير الحاضرين ومدى تجاوبهم مع شخصية وأفكار المحاضر .

وقد استلزم ذلك ـ ضمن أمور أخرى ـ أن أشترى كل ما يلزم لى للظروف المختلفة التى سأمر بها أثناء هذه الرحلة الطويلة وترتب على ذلك صرف جزء كبير من النقود .. وبعدها « يحلها ربنا .. »

وقررت أن يكون المؤتمر فى نفس الفندق الذى اقيم به لان ذلك سيتيح الفرصة لكل من يهمه المؤتمر أن يحضره دون مشقة حيث أن فندق «البلاتزا» يتوسط باريس .

واجتهدت أن يحضر هذا المؤتمر اكبر عدد ممكن من الشخصيات الفرنسية ، من الصحفيين ورجال الفكر والادباء وعلماء الاجتماع ، فوجهت الف بطاقة دعوة الى جميع مراسلى وكالات الانباء والصحفيين ودور النشر ، وكل الهيئات النسائية ، وكل الشخصيات المعروفة ، حتى أضمن أن يحضر هذا المؤتمر خمسمائة شخص على الاقل .

ولما كان مثل هذا المؤتمر سيحملنى مالا طاقة لى به ، ويضيع البقية الباقية من المبلغ الذى أعددته للقيام بهذه الرحلة كلها فقد اتصلت بالسفير المصرى فى باريس ، وسألته أن تساهم السفارة فى الانفاق على المؤتمر الصحفى ، حيث ان هذا المؤتمر سيعود بالدعاية الطيبة لمصر والقضية العربية فساهمت السفارة مساهمة طيبة ، وكانت مساعدتها من أكبر العوامل التى ادت الى نجاح هذا المؤتمر .

وساعدنى فى الدعاية له كل المصريين من معارفى ، واصدقائى وصديقاتى من الفرنسيين ، وكانت تلازمنى دائما مدام « روجيه ماسيب » زوجة رئيس تحرير صحيفة « الفيجارو » اليومية كما

حضرت رئيسة المجلس النسائى الفرنسى وغيرها من رئيسات الهيئات النسائية والصحفيات .. الخ

وكان من أهم ما ساعدنى على اتمام الاستعدادات فى موعدها هو «البقشيش» لعاملة التليفون وساعى البريد والبواب وفى كل مكان !

ولم يكن هذا مما تختص به باريس وحدها فقد لاحظت اهمية البقشيش فى جميع أنحاء العالم فمثلا عندما وصلت الى احدى العواصم الاوروبية طلبت من احدى المشرفات على الفندق كى فستانى بسرعة فقالت أنه غير ممكن الان فأخرجت بعض النقود من الكيس بدون أن أتكلم فأسرعت بالرد بعد أن لاحظت النقود « ممكن برضه ... »

وجاء اليوم الخامس فى باريس وهو اليوم الذى حذدت فيه عقد المؤتمر الصحفى ...

وحان موعد المؤتمر وبدأت اراقب الوفود التى أخذت تتوافد عليه ، فقد كان خليطا كبيرا من الناس جمع العلماء مع الباريسيات الرشيقات الى جانب جماعة من شمال افريقيا ، وجمع كبير من الشخصيات البارزة ، وكل صحافة باريس وجمع كبير من المصريين المقيمين فى باريس ... الخ

والقيت محاضرتى التى استغرقت ثلاثة أرباع الساعة ، فتكلمت عن المراة المصرية ، وتطورها وتحررها ، وكنت اختلس النظر بين حين وآخر الى النقاد ورؤساء تحرير الصحف الكبرى حتى اتبين وقع كلامى لديهم فوجدتهم يتتبعون كل كلمة فى المحاضرةباهتمام بالغ فشجعنى ذلك .

وما أن انتهيت حتى تدفقت الاسئلة على واحتدت احدى الصحفيات الفرنسيات وكانت أشبه «بالفتوة» تعاتبنى على مهاجمتى لفرنسا بخصوص قضية مراكش رغم أنى تلقيت العلم فى فرنسا ولى فيها اصدقاء عديدون ؟ ولكنها اضطرت تحت ضغط الجموع التى اظهرت استياءها منها الى الاعتذار ثم الانسحاب من القاعة .

لقد وفقنى فى الرد بسرعة على كل الاسئلة . وحتى مع تلك «الفتوة» الضخمة الجسم وفقنى الله فى الرد عليها واذكر أنها عاتبتنى فى عنف وشدة فقلت لها أرجو الا تنسى أننى عربية !..

وما كدت أقول هذه الكلمة حتى دوت القاعة بتصفيق من المصريين وابناء شمال افريقيا . وعاونني أحد المصريين بقوله للصحفية الفرنسية « لا تخلطى بين الصداقة والسياسة »

وقال مغربى «اننا فخورون بدفاع الدكتورة درية عن مراكش وان هذا يثبت تضامن البلاد العربية فى قضيتها الموحدة ».

ومما يذكر ان جميع الفرنسيين ساءهم سؤال تلك الصحفية واصبح موقفها دقيقا حتى انسحبت على النحو الذى ذكرته .

ثم اخذت الاسئلة تترى على من كل جانب ، ثم حان وقت الاذاعة فاذا أمامى ثلاثة مكروفونات واحد للغة العربية والثانى للغة الفرنسية والثالث للغة الانجليزية وبالطبع استطعت أن اشبع رغبة الميكروفونين العربى والفرنسى . اما الميكرفون الانجليزى فاعتذرت لمن انصت اليه بضعفى فى اللغة الانجليزية ! وقال الانجليز المستمعون انه يلذ لهم الاستماع الى تلك اللغة «المكسرة» وانهم يفهمونها على أى حال .

لقد خرجت من المؤتمر موفقة بعون الله كما طمأننى هذا المؤتمر على اننى بالرغم من لهجتى الانجليزية «المكسرة» سأستطيع أن اواجه الانجليز فى بلادهم .

وكان دليل التوفيق فى هذا المؤتمر ان صداه شغل الناس جميعا وجاوز حدود فرنسا الى انحاء العالم المختلفة ونشرت الصحف ووكالات الانباء فى اليوم التالى كل ما دار فى هذا المؤتمر الذى شمل كل القضايا التى تهم العالم وجاء ذكر مصر اكثر من مرة حتى امتلأت بذلك عزة ورضاء ، فان الدعوة لمصر عن طريق السيدة يرفع من قدرها لان الاجانب يقيسون تقدم أية أمة بتقدم نسائها .

ولاحظت فى هذا المؤتمر ايضا أن التضامن ملحوظ بين النساء دائما وان اختلفت الملة والمذهب وتباينت الاجناس اذ حضر المؤتمر نحو ٥٠٠ من أهل الرأى والصحافة وكان اكثر من النصف من النساء وأن معظم هؤلاء النساء انضممن لى فى جميع الاراء التى أبديتهـــا :

ثم كرست آخر يوم لزيارة باريس ؛ تلك المدينة التى عشت فيها سنوات وتكونت فيها ارائى وعقائدى ؛ وتلقيت فيها العلم فى السوربون ؛ فاصطحبت احدى صديقاتى من أيام الدراسة واخذنا نتجول فى أنحاء باريس ٠

كان أول ما ذهبنا اليه هو « بولفار سان ميشيل » أو الحى اللاتينى كما يسميه الفرنسيون وسموه بالحى اللاتينى لانه حى العلوم والمعارف ، ففيه توجد معظم كلياب الجامعة وكانت معظم العلوم تدرس باللغة باللاتينية فى الماضى ومن هنا سمى بهذا الاسم ٠

وبولفار سان ميشيل يضم طلبة من جميع الجنسيات ، فيمكنك اذا جلست فى احدى « القهاوى » المنتشرة فى هذا الشارع العتيق أن ترى وجوها افريقية وهندية وصينية ومن جزر الفلبين واليابان وكثيرا من الاوروبيين ، وأن تسمع لهجات من جميع أنحاء العالم ٠

ويمتاز الحى اللاتينى بأنه حى باريسى صميم رغم وجود جميع ألوان الانسان به ، كالابيض والاسود والاصفر ٠٠ الخ ، هذا بخلاف ما بين بين ٠٠

هذه هى حياة الطلبة فى باريس على حقيقتها ، ويحاول الاجانب دائما أن يلبسوا الثياب الباريسية والاذواق الباريسية ، فالبنات يلبسن آخر المودات الباريسية ويصففن شعورهن كالفرنسيات وذلك بأثمان الحى اللاتينى الزهيدة ٠

والطلبة يلبسون السترات القصيرة « والبلوفرات » الصوف

التى تعلو الرقبة والبنطلونات الضيقة . فلا تميزهم عن الفرنسيين سوى وجوههم !

وزرت وصديقتى منزل الطالبات هناك الذى كنت أسكنه وأنا طالبة بالجامعة وتذكرت الايام الحلوة التى قضيتها به ، فكم من ليلة ضحكنا فى هذا البيت . وكم من ليلة سهرنا بين أكداس الكتب والمحاضرات ·

وفى طريقنا الى السوربون مررنا على «رستوران» صغير تتكلف الاكلة فيه فرنكين ونصفا ، أى حوالى قرشين ونصف القرش ، وهذا المحل كنا نتناول الطعام فيه ابتداء من يوم ٢٠ الى ٣٠ فى الشهر لافلاسنا ··

ثم وصلنا الى السوربون تلك الجامعة العتيقة التى تلقيت العلم بين أحضانها والتى خرجت كثيرا من النوابغ فى القانون والطب والفلسفة ··· الخ ، طيلة الاعوام التى عاشتها وهى جزء لا يتجزأ من تاريخ فرنسا وهى السبب الاول فى تسمية باريس « بلد النور » نور العلم الذى يفوق كل نور ·· وما أكثر الاجزاء الهامة فى حياة باريس !

وزرنا بعد ذلك حدائق اللوكسمبورج الجميلة والتى كانت تطل عليها نافذتى وأنا طالبة ، وكنت كل صباح ألقى نظرة الى هذه الحديقة التى أحبها والتى طالما شهدت كفاح آلاف وآلاف من الطلبة فى كفاحهم وآلامهم وامالهم والتى تزخر بالاشياء والمواقف التاريخية ·

ثم زرنا البانتيون وفيه يرقد الراحلون من عظماء الفرنسيين ومنهم نابليون ، فتحس بالرهبة لكثرة الاسماء التى ترقد فيه والتى طالما سمعنا عنها وقرأنا تاريخ حياتها والذين كونوا بكفاحهم الحجر الاول فى مجد بلادهم ·

ثم وصلنا الى نهر السين وزرنا الشاطىء ومررنا بأكشاك باعة الكتب ، لقد أصبح هؤلاء الباعة جزءا من النهر اذا اختفوا من ضفتيه فسوف يضيع نصف جماله ، انهم يؤلفون باقة من الازهار كلها

أكشاك صغيرة ، هذا يبيع « الكارت بوستال » والصـــور الزيتية والصور القديمة وآخر يبيع تحفا أثرية ، وبعض السيوف والخناجر التى يقص عليهـــا كثيرا من القصص قبل أن يبيعك اياها حتى تشتريها وأنت تؤمن بأنها قطعة من التاريخ ، ورابع يبيع الزهور ، وخامس وسادس تمر عليهم فتتمنى أن تعيش فى باريس حتى تراهم كل يوم ، وقد كنت وأنا طالبة أقتصد من « مصروفى » حتى أشترى الكتب من هؤلاء الباعة على ضفة السين .

وأستطيع أن أقول ان جزءا كبيرا من مكتبتى الان مكون من هذه الكتب المشتراة بالفرنكات المقتصدة من ميزانيتى كطالبة .

ومررنا بعد ذلك على نوتردام وقد وقفت الى جوارهـــا عربات شركات السياحة الكبيرة ووقف جمع من الســـياح من مختلف الجنسيات ومعهم آلات التصوير معلقة فى أكتافهـــم يستمعون الى شرح الباريسية الحسناء وهى تشرح لهم تاريخ الكاتدرائية العتيقة بلهجة انجليزية غريبة وجذابة !

ولم ألتقط صورا لا من نوتردام ولا من غيرها من الاثار لاننى فضلت دائمـا فى رحلتى أن أطبع كل ما يلفت نظرى أو يؤثر فى ، لا فى فيلم بل فى ذاكرتى .

ثم ذهبنا الى المونمارتر الذى يشرف على باريس ووقفنا الى جوار كنيسة « الساكركير » أو القلب المقدس نتأمل باريس من هذه القمة المرتفعة وبدت معالمها واضحة جلية ، فمن هذه النـــــاحية محطة « الشرق » ومن هذه الناحية النوتردام ثم من هنا برج ايفل والقصر الملكى ثم الكونكورد وقوس النصر ...

وحى المونمارتر هو حى الفنانين ، ففيه ترى الرسامين وقـــد وضع كل منهم لوحته وأخذ يرسم حوارى هذا الحى الضيقة وشوارعه المنحدرة والملاهى العتيقة والسلالم التى تصـــل بين نواحى الحى ونواح أخرى والطريف انك لا تستطيع أن تفرق بين الفنـــانين الفرنسيين وزملائهم الامريكيين الذين جـــاءوا الى باريس ليتعلموا

الرسم . فقد أطلق الامريكيون لحاهم ولبسوا « البيريه » الفرنسى ولبس الفرنسيون « البلوجينز » الامريكى والقمصان المزركشة فأصبحت لا تعرف هذا من ذاك .

وصعدنا بعد ذلك الى برج ايفل لنرى باريس قطعة قطعة وبيتا بيتا . وقد قطعها نهر السين بنصف دائرة فظهر كأنه شريان يجرى وسط هذه المدينة الجميلة فلا حياة له بدونها ولا حياة لها بدونه !

وهذا قصر شايو الذى عقدت فيه أكثر من جلسة تاريخية لهيئة الامم المتحدة ..

وكانت حدائق التويلرى هى آخر المطاف فى رحلتنا هذه ومنها خرجنا الى شارع ريفولى الشهير وبه محلات اللوازم النسائية على اختلاف أنواعها ويتفنن أصحابها فى عرض آخر الموديلات من حقائب وحلى وعطور وجوارب .. الخ

وتحت اغراء هذا الشارع طار نصف باقى المبلغ المخصص للعالم كله . فخرجت منه مسرعة قبل أن يطير النصف الآخر ! .. ثم دخلنا متحف « اللوفر » وزرت القاعة المخصصة للتحف المصرية ..

وفى نهاية الشارع خرجت الى ميدان الكونكورد حيث تقف المسلة المصرية شامخة ، ووقفت الى جوارها فى فخر وودت أن أقول لكل من يمر بجانبها ويتأملها فى جمالها وبساطتها : « اننى مصرية وأجدادى هم الذين سجلوا تاريخهم على هذه المسلة التى تقفون أمامها اليوم بعد أربعة آلاف سنة من صنعها دهشة واعجابا » .

وأردت أن تكون آخر حاجة أزورها هى جامع باريس لأن كل الشرقيين يشعرون فيه بأنهم فى وطنهم وفى مكان من أماكنهم المقدسة .

ثم عدت الى الفندق ، فمررت على قوس النصر ، لقد أصبح هذا القوس لا يرمز الى تاريخ بنائه فقط ، بل أصبح يرمز الى باريس نفسها ، ويرمز الى الحضارة الفرنسية كلها ، التى يستمد منها كثير من الشعوب ثقافتهم وتعتبرها الشعوب الاخرى منهلا من مناهل العلم والادب والفن ..